

أثر حفظ القرآن الكريم في صقل المهارات اللغوية لدى الطفل

The role of the Quran in developing linguistic skills

سليم قزعوط*

صالح زيتوني*

جامعة حسيبة بن بو علي الشلف الجزائر

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

الجزائر

salimgazaout@gmail.com

zitouni.salah@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال: 2025/02/14	تاريخ التقييم: 2025/05/13	تاريخ القبول: 2025/06/04
---------------------------	---------------------------	--------------------------

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تحديد دور حفظ القرآن الكريم في صقل المهارات اللغوية وتنميتها من قراءة وكتابة وكلام وسماع وغيرها من مهارات اللغة. يعدّ حفظ القرآن الكريم وسيلة فعالة لتحسين المهارات اللغوية عند الطفل والارتقاء بها إلى مستوى الجودة، كما أثبتت الدراسات الميدانية تمكّن الحافظين لكتاب الله من التكلم بسهولة وسلامة نطقهم للحروف وقوة مهارة السمع لديهم وغير ذلك. كما تسهم المدارس القرآنية بقدر كبير في تجسيد تلك المهارات والملكات وتحسينها؛ كونها مؤسسات تعليمية تعتمد طرائق متعددة ومناهج هادفة تغرس في الطفل روح التعلم وحب المنافسة؛ أين يتلقى مبادئ القراءة والكتابة قبل دخول المدرسة. وجاء هذا البحث ليجيب عن الإشكالية الآتية: ما مدى تأثير حفظ القرآن الكريم في تعلّم العربية لدى الطفل وصقل المهارات اللغوية لديه؟ كلمات مفتاحية: حفظ القرآن؛ صقل المهارات؛ تطوير لغة الطفل.

Abstract :

This research paper addresses a pedagogical topic that revolves around the role of Quran memorization in sharpening linguistic skills and developing reading, writing, speaking, and listening, alongside other language skills.

The Quran is an effective tool for improving linguistic skills in children and helping them master these skills. Field research has shown that those who memorize the Quran are able to speak and spell words with ease, as well as demonstrate strong listening abilities.

Quranic schools play a significant role in nurturing these skills and refining these talents. As educational institutions, they employ various methods and curricula that instill a desire to learn and a love for competition in children. These schools provide students with the basics of reading and writing before they even join formal schooling. This research seeks to answer the following question: To what extent does memorizing the Quran affect learning Arabic and enhancing linguistic skills?.

Keywords: Quran Memorization; Skill Refinement; Child Language Development.

*المؤلف المراسل:

مقدمة:

لا يخفى علينا أن القرآن الكريم نعمة عظيمة من النعم التي أنعم بها الله تعالى على هذه الأمة، لا يعرف قدره إلا من ذاق حلاوته وتدبر معانيه.

لحفظ القرآن الكريم وتلاوته أثر كبير في تعلم العربية وتنشيط الذاكرة وإنعاش الروح، لاسيما إذا كان العمل به ممنهجاً ومنظماً في المدارس القرآنية للأطفال الصغار، وكان بناء ذلك على أسس علمية مدروسة؛ حيث يسهم تدبر القرآن الكريم وتدارسه وحفظه في خلق قدرة لغوية وفصاحة لسانية، كما أنه يكون للطفل رصيذاً لغوياً منقطع النظير؛ كما يؤدي إلى تحسين وتطوير الملكات والمهارات اللغوية من قراءة ومحادثة وكتابة؛ فلنلمس في ذلك فرقا شاسعا بين الأطفال الذين دخلوا المدارس القرآنية وغيرهم ممن لم يدخلوها.

فما مظاهر التفوق لدى متعلمي المدارس القرآنية؟ وكيف أثر القرآن الكريم في سرعة تلقيهم المعارف واكتسابهم المهارات اللازمة وتمكنهم من الملكات المختلفة؟

انطلاقاً من هذه الإشكالية سنضع فرضيتين؛ الأولى أن التفوق يظهر في قوة الذاكرة وطلاقة اللسان. أما الثانية: أن هذا التفوق يشمل سرعة الفهم وثراء الرصيد اللغوي.

وسنسعى في هذه الورقة البحثية أن نخبر الفرضيتين وأن نجيب عن الإشكالية المطروحة.

1. القرآن الكريم

يعدّ القرآن الكريم أقدس كتاب سماوي أنزل على أشرف وأعظم خلقه سبحانه وتعالى، جمع بين صفحاته أصول الدين وفروعه التي يستقيم بها حال الفرد، وتنظم بها قوانين الحياة، يقول تعالى "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ"¹.

فالقرآن الكريم هو " اللفظ العربي المعجز الموحى إلى محمد - صلى الله عليه وسلم- بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر المكتوب في المصحف، والمتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس المشتمل على مائة وأربع عشرة سورة وستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية"².

فالقرآن الكريم وحى معجز من الله - عز وجل- نزل بلسان عربي على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- بواسطة جبريل عليه السلام منزل الكتب السماوية. جمع كل الآيات والصور المنزلة على الأنبياء والرسل في مصحف جمع في عهد عثمان- رضي الله عنه- لخص ذلك كله قوله تعالى " ... وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"³

2- اللغة بين المفهوم النظري والاكتساب الفطري:

1-2 حدّها لغة:

ورد في تعريف اللغة " واللغة أصلها لَغَى أو لغو، الهاء عوض وجمعها لغى مثل برة وبرى ولغات أيضا وحال بعضهم : سمعت لغاتهم بفتح التاء وشبهها بالتاء التي يوقف عليها الهاء، وبالنسبة إليها لغوي بضم اللام ولا نقل لغوي بفتح اللام"⁴.

كما أن اللغة لها معنيان، الأول لغا بالأمر أي تكلم به، والثاني لغا يلغو لغوا: أي أبطله وألغاه

2-2 حدّها اصطلاحاً:

اجتهد علماء اللغة والمهتمون بها من فلاسفة ومتكلمين في تحديدها، واختلفت وجهات نظرهم إليها وتصورهم لها، وذهبوا مذاهب شتى بين تحديد مادتها ورصد وظيفتها الاجتماعية والنفسية، وما يزال تعريف ابن جني جامعاً لتلك الأصول وحاوياً تلك اللطائف التي تكاد

تنطبق على جميع اللغات البشرية؛ حيث يعرفها بقوله " اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁵.

فاللغة عند ابن جني لها ثلاثة أبعاد، بعد صوتي يتمثل في مادتها، وبعد وظيفي يتمثل في دورها الاتصالي، وبعد اجتماعي يتمثل في كونها اجتماعية لا فردية. فحسب وجهة نظره فاستبعد ابن جني اللغات المكتوبة، ذلك أن الكتابة تمثيل للغة المنطوقة لا غير، واستبعد الإشارات وكل ما له دلالة وبعد وظيفي ما لم يكن صوتا.

3-اكتساب اللغة عند ابن خلدون:

كان ابن خلدون من أكثر العلماء الذين بحثوا في قضية اكتساب اللغة وأبلوا البلاء الحسن في ذلك؛ حيث يرى أن " اللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات"⁶. ونفهم من قوله أن اللغة من غير الممكن أن تحصل دفعة واحدة، بل يخضع تحصيلها لفترات زمنية متعاقبة، كما أن اللغة الفصحى لا يمكن أن تكتسب بالسليقة وحدها، لذلك لا يمكن أن تجتمع ملكات اللغة في النفس البشرية بداع اندماج الفرد في بيئته إلا باجتماع عوامل عدة، ويبقى عامل الزمن مهما في تحقيق جميع المستويات النحوية والبلاغية وغيرها.

من خلال هذا العرض الموجز نخلص إلى أن ابن خلدون أثناء حديثه عن الملكة اللسانية المكتسبة يميز بين نوعين من الاكتساب اللغوي:

-الاكتساب من خلال الاندماج في البيئة الناطقة باللغة المراد تعلمها، تحقيقا لنظرية الانغماس اللغوي وسماع لغتها، والاكتساب أو التعلم بواسطة الحفظ المتكرر والتمرن، بالإضافة إلى جودة المحفوظ.

وهو في ذلك يرى أن اللغة ملكة ويقسم ظواهر تعليم ملكة اللغة إلى ثلاثة أنواع :

ظواهر قاعدية وظواهر نفسية وظواهر اجتماعية،⁷ تتداخل هذه العوامل وتتجاذب الظواهر لتكسب المتعلم اللغة .

ويقول ابن خلدون في ذلك " اللغات إنما هي ترجمان عمّا في الضمائر من تلك المعاني التي يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل

ملكته بطول المران على ذلك"⁸؛ لأن الاكتساب عملية فطرية وعشوائية لا يحس بها الطفل، فهو يقوم بها دون قصد أو اختيار وتكون في سياق غير رسمي باكتساب اللغة وبممارستها⁹. ويقصد باكتساب اللغة الممارسة الفعلية للأداء الكلامي دون الإحساس بدنياميكية ذلك، لأن الطفل يمر في حياته بمواقف اجتماعية تجعل منه قادراً على تحصيل الملكة اللغوية دون أن يعي موقفاً واحداً أو أن يكون على استعداد تام، وعليه فالأطفال وهم يتلقون اللغة الأولى أو لغة المنشأ لا يأخذون دروساً منظمة في قواعد اللغة وطرق استعمالها، وإنما سلاحهم في ذلك تلك الملكة التي ولدت معهم وصاحبته منذ نعومة أظفارهم، والتي بدورها تجعلهم يكتسبون اللغة في ظرف وجيز وبمستوى عال .

إذا كانت العوامل الاجتماعية المحيطة بالفرد كفيفة باكتساب اللغة فإن الفوارق الفردية لا تقل شأنًا عنها؛ حيث إن الذكاء من العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة، نظراً لما يتضمنه من القدرات العقلية المتعلقة بالقدرة على التحليل والتخطيط وحل المشاكل وسرعة المحاكاة العقلية.

4- اللغة بين الاكتساب والتعلم :

لا تختلف ما تراه التعليمية - استناداً إلى ما قدمه علم النفس بين التعلم والاكتساب- عن ابن خلدون وهو يبسط لنا الطرق الناجعة لتعلم العربية؛ حيث ميّز بين اكتساب اللغة وتعلمها؛ حيث يقول: " المتكلم من العرب؛ حيث كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيها يسمع كلام أهل جيله وأساليهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعمالهم يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة واصفة راسخة هكذا تصيرت الألسنة من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والعرب"¹⁰.

وعليه فاكتساب اللغة من منظور علم النفس يرجع لعوامل نفسية عميقة، ذلك أنه يعيش في مجتمع يدفعه للاندماج في الحياة ويرغمه على اكتساب لغة محيطه الاجتماعي؛ لأنها وسيلة لإقحامه في الحياة وأداة فعالة تجعله يتكيف فيها وأفرادها، أما تعلم اللغة فهو تلك

العملية الواعية التي تبدأ بعد سن الخامسة وهو في المدرسة؛ حيث يتمكن الطفل من تحصيل زاد معرفي متعلق بتعليم اللغة بشكل مبرمج ومخطط له مسبقاً من طرف المعلم الذي يجتهد في تطوير القدرات اللغوية لدى المتعلمين باعتماد طرق عديدة، منها¹¹ :

- التركيز على الاستخدام الصحيح للغة .

- التعبير الصحيح عن الأفكار.

- التفاعل الاجتماعي باستخدام قواعد اللغة.

وعليه فالمعارف التي يتلقاها الطفل في لغته الرسمية بما تحمله من مستويات معجمية ونحوية وتركيبية ودلالية تختلف عن تلك اللهجة التي اكتسبها في محيطه الأسري والاجتماعي.

12

5- المدرسة القرآنية:

إذا كان القرآن الكريم هو " كلام الله المعجز والمُنزل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم- المكتوب في المصاحف¹³ فإن الله -سبحانه وتعالى- شرف المسلمين بقراءته وحفظه ومدارسه، وإذا أراد الله لكتابه العزيز القداسة والسمو والرفعة فإنه جعل له أماكن وبقاعاً طاهرة، منها: المساجد والمدارس القرآنية .

وهي "مدرسة تتباين فيما مستويات التعلم، تدرس فيها مبادئ القراءة والكتابة وتلقين وتحفيظ القرآن الكريم وتدرّس باقي العلوم الشرعية على فهم معاني الألفاظ القرآنية وروح الشريعة"¹⁴.

فهي بهذا المفهوم تكون أبعد مما كنا نتصور، فهي مؤسسة تربوية تعليمية تقدم فيها برامج أولية مفتاحية لولوج عالم الكتابة والقراءة وتحصيل المهارات الأساسية للتعلم قبل أن تكون مؤسسة لتحفيظ القرآن، فما تختلف فيه عن باقي المؤسسات التربوية الابتدائية أن هدفها الأسسى هو تحفيظ كتاب الله الذي هو رأس الأولويات . وهنا يتجسد في أذهاننا سؤال وجيه: ما الدور الذي تلعبه المدرسة القرآنية في صقل المهارات اللغوية للأطفال؟

وإلى أي مدى يمكن عدّ المدارس القرآنية مؤسسات تربية ناجحة مهمتها إعداد الطفل لغويا يتميز بسليقة تفوق المكتفين بالمدارس؟

6- طرائق تدريس القرآن في المدارس القرآنية:

تتنوع طرائق تحفيظ القرآن الكريم في المدارس القرآنية، ولكل طريقة دورها في تحسين ملكة ما لدى المتعلم، وسنعرض هنا أهم الطرائق المعتمدة في المدارس القرآنية.

أولاً: الطريقة الجماعية :

يتلخص دور هذه الطريقة في تفعيل الجانب النطقي لدى المتعلم وتجسيد مبدأ التكرار الذي نوه إليه ابن خلدون في المقدمة، وأساس تلك الطريقة " عرض آية أو جزء من قصار سور القرآن الكريم، وهو مقدار يحدده المعلم ثم يقوم بتلاوته على الطلاب أولاً تلاوة نموذجية مرتلة مجودة بصوت واضح مسموع لأكثر من مرتين ثم يردد الطلاب خلفه بشكل جماعي ويعيدون ذلك أكثر من مرة ليتم الحفظ.

بعد ذلك يأتي كل طالب على حدة ويقدم تلك الآيات محفوظة للمعلم، بل إن المعلم يكتب الآيات على السبورة ليعرف الطلاب النطق السليم والكتابة السليمة"¹⁵، ولا تخفى فوائد هذه الطريقة للمتعلمين؛ حيث تسهل الحفظ بعامل التكرار الذي يسمعه الطالب من المعلم وممن يدرس معهم، كما تسمح لمعلم القرآن متابعة تلاميذه فرداً فرداً وهم يتلون كتاب الله بكل انضباط وحرص، يلتبس ذلك كل من ولج المدرسة القرآنية وتردّد على مجالس تحفيظ القرآن في المساجد.

ثانياً : الطريقة الترديدية:

يقوم الطلاب في هذه الطريقة بتريد الآيات القرآنية وراء المعلم الذي يعمد تسميعهم إياها بصوت واضح، وهذه القراءة " تكرر حسب الحاجة إليها ولا يقتصر فيها على مرة واحدة، بل يستمر العمل فيها حتى يشعر بأنها حققت أهدافها، وعلى المعلم أثناء القراءة الترديدية أن يراعي الوقوف على رؤوس الآيات وأن يلتزم بمواضيع الوقوف الموجودة في المصحف، وأن

يحرص على ضبط الحركات والسكنات وإعطاء الحروف حقها ومستحقها من أحكام التجويد¹⁶.

إذا ما تأملنا هذه الطريقة فإننا نجد لها فوائد شتى، من ذلك أنها تقوم السنة المتعلمين وتعالج بعض الأمراض الكلامية، كالجبسة والتأتأة، وغيرها مما يعيق نطق الكلمات بسلاسة، ناهيك عن التردد المتكرر والذي بدوره يسهل نطق الكلمات الصعبة. أضف إلى ذلك أنه يساعد على تحفيظ كلام الله تعالى دون شرط توفر مهارة الكتابة في المتعلم لأن تحقيق نتائج ذلك منوطة بالسماع وقرع الأذان بالأصوات لا غير.

7- دور القرآن في صقل المهارات اللسانية لدى المتعلمين :

لا شك أن القرآن الكريم أفصح نص عربي وأبلغ تعبير؛ حيث أعجز به الخالق عز وجل به فصحاء العرب على أن يأتوا بمثله، لذلك فهو يكسب متعلمه وحافظه فصاحة وملكة لسانية. أضف إلى ذلك صقل المهارات اللغوية لدى المتعلمين، وقبل أن نخوض في ذلك جدير بنا أن ندلي بدلونا في بسط مفهوم المهارات اللغوية.

7-1 المهارات اللغوية :

سلوكات وقدرات يكتسبها الطفل ويتعلمها بفعل الظروف الاجتماعية التي تحيط به. تلك القدرات تجعل منه فردا قابلا لتحصيل لغة المنشأ، وتمثل تلك القدرات مجتمعة قدرة الطفل على التواصل والتحدث باللغة صوتا وقراءة وكتابة واستماعا كما تمكنه من استعمالها وممارستها إرسالاً واستقبالاً؛ حيث يبلغ ما أراد إيصاله ويفهم ما يتناقله الغير أمامه من عبارات وجمل وتراكيب، وقد حُصرت تلك المهارات في الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، ولما كان القرآن الكريم أصلاً لطالب أي علم فقد كان ولا يزال مترعاً على أفصح النصوص الأدبية من شعر ونثر في تحسين وصقل تلك المهارات والفنون للقارئ له، وسندقدم في هذا العرض الموجز أهم الفوائد المرجوة التي يمكن أن يعود بها القرآن الكريم على حافظيه على مستوى المهارات اللغوية.

7-2 القرآن ومهارة الاستماع:

تعدّ مهارة الاستماع أول المهارات وأهمها التي يقوم عليها البناء اللغوي للطفل، ذلك أن الطفل أول ما يولد يسمع قبل أن يبصر ويرى وأول ما تموت من المهارات اللغوية بعد وفاة الإنسان مهارة السمع، إذا اجتمعت هذه المهارة مع المهارات الأخرى من كتابة وقراءة وكلام فإنها تنمي الطفل تنمية لغوية ليس لها نظير كما أن الإنسان سماعه أكثر من حديثه وكتابته " وهذه الأولوية فرضتها طبيعة اللغة أيا كانت هذه اللغة لأن الإنسان صغيرا كان أم كبيرا لا يمكن في أغلب الأحوال أن يتعلم الفنون الأخرى ما لم يسبقه الاستماع بمعنى أن الطفل لا يستطيع النطق إلا إذا كان متمتعا بخاصية سمع جيدة منذ ولادته وسمع كلاما يمكن أن يعبر به." ¹⁷

وما يدل على قوة مهارة الاستماع والإنصات وقوة أثرهما، أن الله تعالى أوجب توظيفهما أثناء تلاوة القرآن وجعل منهما سببا للرحمة يقول سبحانه وتعالى " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون " ¹⁸، فقد وصل القرآن إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن طريق السماع من ملك الوحي جبريل عليه السلام دون أن يكون النبي آنذاك على دراية بالقراءة والكتابة، وهنا يتجسد لنا دور السماع وما له من أثر في تحفيظ القرآن الكريم، ذاك ما كان شائعا في المدارس القرآنية؛ حيث يقوم معلم القرآن بتلقين تلاميذه القرآن عن طريق السماع والتريد.

كثرة سماع القرآن الكريم تسهم أيضا في تحقيق مهارة فهم الخطابات التي تلقى على مسامع الطفل أو بعبارة أخرى فهم مقصود المرسل، تلك المهارة تحصل بفعل الممارسة المتكررة لدى المتعلم كما يتوجب على الطفل تحصيل مهارات سابقة ومؤسسة لهذه المهارة الأنفة الذكر، كالقراءة والكتابة اللتين لا تقلان شأنًا عن السماع في فهم مقصود المرسل وإدراك مقاصد الخطاب وتحليل معالمه، ولا شك أن حافظ القرآن أقدر من غيره على ذلك لأن القرآن كله بلاغة وإعجاز ولن يدرك ذلك إلا من عكف على ترديده ولزم تلاوته ولا شك أن ذلك يجعل منه قادرا على إدراك الهدف وفهم الغاية التي يلقي لأجلها الخطاب.

3-7 مهارة الكلام في ضوء التعلم القرآني:

لا أحد ينكر ما للكلام والتحدث من فضل في تعلم اللغة، إذ يمثل الكلام والحديث والتعبير مادة اللغة، واللغة في الأصل منطوقة وما الكتابة إلا تمثيل للغة، وكم أبدع كتّاب في الكتابة ووتفننت أناملهم في مداعبة القلم وعجزوا عن الخطابة والإقناع، لذلك عدّت الوسيلة الأولى التي يستطيع الفرد خلالها فهم الآخرين والتواصل معهم، و"هي بذلك فن يتعامل مع العقل والعاطفة أيضا لرغبة المتحدث في إقناع الآخرين والتأثير فيهم، وهي مهارة من مهارات اللغة التي بها تنتقل الأفكار والمعتقدات والآراء والمعلومات والطلبات إلى الآخر بواسطة الصوت"¹⁹

تتفاوت مهارة الكلام وإتقان فن الحوار من فرد لآخر، ويختلف المتحدثون فيما بينهم في درجة إتقان هذه الملكة بحسب درجة تمكنهم في انتقائهم للألفاظ وتخيرهم للمعاني، فما الوصول إلى أذهان المخاطبين والتأثير فيهم بالأمر الهين ما لم يكن هناك صقل للألفاظ وبلاغة للمعاني.

قارئ القرآن ليس كغيره في حديثه مع الناس ومحاولة إقناعهم، فأسلوب كلامه أقرب إلى الرقة والعدوبة لأنه مزيج بين بنيات فكره وشواهد قرآنه - عز وجل - والتحدث نفسه له مهارات يؤثر فيها حفظ القرآن كإخراج الحروف من مخارجها وإتقان الجانب الصوتي وغيرها من المهارات لأن القرآن الكريم أقدر الوسائل على تطويع اللغة للنطق واستقامة التراكيب في اللسان وسلامة المخارج في أصواتها.²⁰

4-7 دور التجويد في تحسين مهارة الصوت:

التجويد هو " العلم الذي يبحث في الكلمات القرآنية من حيث إعطاء الحروف حقها من الصفات اللازمة التي لا تفارقها ومستحقها من الأحكام الناشئة عن تلك الصفات "²¹، فالتجويد قد تجلّى دوره في إتقان النطق، ولا شك أن لفظ التجويد يرتبط ارتباطا وثيقا بحافظ القرآن الكريم لأن هذا الأخير أولى الناس بتعلم أحكام التجويد والترتيل وأكثرهم تمكنا من هذه المهارة ليتحقق له تطبيق أحكامه من إشباع للحركات وتبيين للحروف لإعطائها ما تستحق من مدّ وإظهار وإخفاء وتخفيف ونحوها بما يناسب كل موضع مثل ترقيق اللام في

لفظ الجلالة باسم الجلالة وتفخيمها في غير ذلك الموضع مثل: كتاب الله، عباد الله وغيرها من المواضع التي يجب أن يفخم فيها.

" وهذا من عجائب القرآن الأدائية وضعه هاتين الصورتين في سياق واحد بعرض مختلف في مواضع عديدة من القرآن ومن أجل الدربة الدقيقة على التلفظ بهما" ²² ولنضرب مثالا على ذلك في قوله تعالى "...وَلْيُنْ أَدْفَنَاهُ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتُهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْبَىٰ فَتَنْبِئُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ" ²³؛ حيث نرى في تفخيم الضاد وترقيق الظاء ما ليس في غيره كما نلتهمس من إعطاء التلاوة حقها من التجويد حلاوة وطلاوة ويزداد الأداء حسنا والصوت جودة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل القرآن الكريم عن علم الأصوات لأن التجويد علم صوتي بدرجة أولى.

4-7 دور القرآن في تحقيق السلامة النحوية والاستقامة اللسانية:

لا شك أن القرآن الكريم مصدر إلهام لعلوم العربية؛ حيث استمدت هذه العلوم اللغوية قواعدها ورسخت أسسها من كلامه -عز وجل- الذي عدّ المصدر الأول للفصاحة ليكون له أثر بالغ في تحقيق السلامة النحوية، فاللحن يغير المعنى ويحرفه عما وضع له. ومما روي في هذا الشأن أن أعرابيا ذهب يبحث عمّن يقرئه ما أنزل على النبي- محمد صلى الله عليه وسلم- وكان له ذلك فسمع القارئ يقرأ قوله تعالى " أن الله بريء من المشركين ورسوله " بكسر اللام في رسوله، فرد عليه الأعرابي: أقد برئ الله من رسوله. إن يكن برئ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأنا أبرأ منه.

فلما بلغ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ما قاله الأعرابي عاد إليه قائلا: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني فأقرأني كذلك. فأخبره - رضي الله عنه - أن القراءة خاطئة وأن الأصح برفع رسوله أو نصبها، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه وأمر عمر- رضي الله عنه- بعد ذلك بأن يقرئ الناس من هو عالم بالعربية" ²⁴. وكثير هو اللحن

الوارد في قراءة القرآن من قبل الجاهلين بالعربية ورواياته مبثوثة في الكتب التي أرخت لنشأة النحو، وإن كان لكل شيء سبب، فسبب نشأة النحو هو اللحن.

نلتمس من حافظ القرآن الكريم تميزه بمهارة نحوية نمت وتطورت بين أحضان القرآن الكريم وأن الضبط النحوي من أبرز المهارات اللسانية التي يمكن أن تتحقق بحفظ كتاب الله، ولا نكاد نجد أفصح ممن اعتلى المنابر وكّرس حياته للدعوة من الأئمة الذين حفظوا القرآن ووعته صدورهم، فلولا زالت العربية، فبه فرضت وجوها وعززت كيانها.

5-7 القرآن الكريم ومهارة القراءة:

القراءة مهارة لغوية لا بدّ من تحقيقها من قبل المتعلمين لزيادة مخزونهم المعرفي ورصيدهم الفكري، كما أن القراءة في أبسط تعريف لها هي " الإدراك البصري للرموز المكتوبة وتحويلها إلى كلام منطوق، فهي عملية عقلية تهدف إلى تفسير الرموز والحروف والكلمات والتفاعل مع ما يقرأ"²⁵، وهي قسمان: صامتة وجهرية، فالصامتة تستخدم البصر والجهريّة تستخدم البصر والسمع .

يتجلى دور القرآن الكريم في تطوير مهارة القراءة بكثرة تلاوته تلاوة جهرية أثناء ممارسة الحفظ، كما أن التمتع في ألفاظه وسحر بيانه من أهم السبل وأكثرها نجاعة وتأثيراً في زيادة وإثراء الملكة اللغوية، ناهيك عن تنشئة الفرد من الناحية الخلقية والدينية لذلك نصح علماء الدين بضرورة إقحام الأطفال المدارس القرآنية في سن مبكرة كون أحسن طريقة لتحسين النطق هي قراءة القرآن.

يقول عبد الله بن محمد بن عيسى " ومن أظهر المهارات التي تتأثر بحفظ القرآن الكريم مهارة القراءة؛ لأن حفظ القرآن الكريم هو عبارة عن ترداد للنص القرآني مع كثرة ترداد له وفق الضوابط المعروفة عند علماء القراءة والتجويد، ولذلك فإن جميع مهارات القراءة تتأثر بحفظ القرآن"²⁶ حيث إن اجتماع المعلم القرآني والأطفال الصغار في المدارس القرآنية والتعرض لكتاب الله وتدارسه يساعدهم على نطق الكلمات نطقاً سليماً من حيث البنية والإعراب وفق الضوابط المعمول بها مع إضفاء شيء من الشرح.

وفي الأخير نخلص إلى أن الأداء الجيد لآيات الله والاستمرار في ذلك له أثر كبير في اكتساب القراءة وتنمية مهاراتها بالإضافة إلى التزود بالثقافة والعلم، كما أن إخراج الحروف من مخارجها يعوّد اللسان على الفصاحة والبيان مما يعينه على التعبير عن أفكاره وأحاسيسه ومنه إثراء الحصيلة اللغوية وتنمية الثقة بالنفس.

6-7 دور القراءة في تنمية مهارة الكتابة:

الكتابة من المهارات التي تسهم في إتقان العربية، وإن كانت تقل أهمية عن باقي المهارات الأخرى، والكتابة عملية تبدأ برسم الحروف وكتابة الكلمات بالطريقة التي تيسر على القارئ ترجمتها إلى مدلولاتها وتكوين الجمل والعبارات بالطريقة التي تمكن الكاتب من التعبير عن نفسه.²⁷

إن الكتابة تجسيد وتمثيل لما سبق من المهارات وخاصة القراءة؛ أي أنها عملية يتم من خلالها إجلاء المعارف وإخراجها من مجالها المادي الصوتي إلى رموز وأشكال مخطوطة، وهي أداة فعالة لترسيخ التراث ونقله للأجيال المتأخرة يتعلم الأطفال الصغار الكتابة من خلال النماذج المتكررة التي يشاهدونها ومن خلال رؤيتهم لكتابة الآخرين وهي تكتب لهم، وأيضا من خلال إملاء الأطفال لمواضيعهم الخاصة لمساعدة المعلم وتكون محاولات الأطفال الأولى للكتابة عادة عن طريق الخطوط (الشخبطة)، وعندما تصبح الرموز العشوائية لخطوط الأطفال على سطور أفقية بدلا من التعرجات الدائرية غير الهادفة عنها يدرك الأطفال بدايات تعلم الكتابة²⁸، كما أنه لا بد من توفر مهارات تكونت بحفظ القرآن الكريم.

فالقراءة نافذة الانفتاح على شتى المعارف ومفتاح للولوج إلى التراث، كما أنها تسهم في تنظيم أفكار الطفل وتعمل على تكوين شخصيته وتزويده بثروة معجمية لا حصر لها. ينطبق ذلك على الطفل الحافظ للقرآن باتباع الإجراءات الآتية .

-تنويع الصوت والمزاوجة بين الجهر والهمس في نطق الحروف.

-مراعاة أواخر الكلمات وضبطها ضبطا صحيحا.

-إعطاء كل حرف حقه ومستحقه من الصفات والتركيز على إخراجها من مخرجه الصحيح.

-محاولة تحليل الكلمات المقروءة دلاليا وفهمها وشرحها.

ويتميز الطفل الحافظ للقرآن عن غيره الذي لم يدخل المدرسة ولم يترب على تعلم القرآن بتحصيل هذه الملكة حيث نجد هذا الأخير ضعيف الزاد اللغوي، بل يكاد ينعدم لديه وينعكس ذلك سلبا على إبداعه في المستويين الخطابي والكتابي.

من خلال ما سبق نستنتج أن تكامل المهارات وتأزرها هو الذي يقويها وينمها" فنحن لا نكتب شيئا إلا ونحن على نية الحديث به أي أن الحديث مصدر الكتابة، والكتابة هي مصدر المقروء والمقروء هو مصدر المسموع هكذا تتكامل هذه المهارات على نحو يجعلها في الحقيقة نشاطا لغويا كبيرا له أوجه متعددة²⁹.

فيتم تلقين الكتابة لدى الطفل الذي يحفظ القرآن عن طريق الدور الذي يلعبه معلم القرآن. ذلك أن الطفل أول دخوله المدرسة القرآنية يتلقى لوحة يدون فيها حروف الهجاء وبعدها يدون سورة الفاتحة ولا يزيلها حتى يتمكن من حفظها عن ظهر قلب مع تعلم نطقها ثم يبدأ المعلم بتدوين بعض صغار السور القرآنية كما هو معمول به في المدارس التي تحفظ القرآن ؛ حيث يكون الطفل مجبرا على المرور بكل ما كتبه المعلم ليأتي بعدها دور الإملاء مجسدا مهارة كتابة المسموع، ويبدو أن مهارة الكتابة ترتبط ارتباطا وثيقا بجودة الاستماع وحسن الإنصات وقوة التركيز. فلا سبيل لتحصيلها وصقلها إلا بتدارك المهارات الأخرى القراءة والكلام والاستماع لتكون هي الأخيرة نتاجا لغويا ووعاء تجتمع فيه جميع المهارات اللغوية الأخرى .

خاتمة:

بعد خوض هذه الرحلة العلمية المتمثلة في دور حفظ القرآن في صقل الملكات اللغوية لدى الطفل نخلص إلى النتائج الآتية:

-القرآن الكريم له أثر بارز في صقل المهارات اللغوية لدى المتعلمين. يتجلى ذلك في بروز فروق شاسعة في تحصيل ملكات اللغة من قراءة وكتابة ومحادثة وغيرها بين من يحفظون القرآن وغيرهم ممن لا يحفظونه.

-القرآن الكريم مصدر لكل ملكة لغوية يجعل من قارئه بارعا في مهارة الاستماع والكلام والكتابة والقراءة.

-حفظ القرآن الكريم يجعل من الطفل غزير المعرفة كثير الزاد المعجمي يظهر ذلك من خلال استشهاده بآيات من كتابه – عز وجل-.

القرآن يحسن مهارة الصوت، ذلك أن التجويد يبحث في الكلمات القرآنية من حيث إعطاء الحروف حقها من الصفات اللازمة، وحافظ القرآن لا بد له من التجويد الذي يحصل هذه المهارة.

القرآن الكريم يكسب حافظه سلامة نحوية تنمو وتتطور بين أحضان القرآن الكريم، وليس هناك أفصح من الأئمة والدعاة الذين يحفظون القرآن وليس هناك أقوى منهم حجة في الإقناع.

كما أن المهارات اللغوية قابلة للتطور والتنمية والقرآن الكريم أفضل وسيلة لذلك.
الهوامش والمراجع:

¹ سورة النحل، الآية 89.

² ريب مصطفى وآخرون، الواضح في علوم القرآن، دار الكلام الطيب، سوريا، ط2، 1992، ص15.

³ سورة الشعراء، الآية 195.

⁴ الجوهري إسماعيل بن حماد، معجم الصحاح، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2007، ص1069.

⁵ ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1955، ج1، ص33.

⁶ ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط1، 2004، ص607.

⁸ ينظر: زكريا ميشال، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1986، ص28، 29.

⁹-المقدمة، ص 631

⁹القاسمي علي، لغة الطفل العربي، دراسة في السياسة اللغوية وعلم اللغة النفسي، مكتبة لبنان، ط1، 2009 ص 55.

¹⁰المقدمة، ص 632 .

¹¹الزعيبي سليمان معلق ، مقالة، محاضر في جامعة سلمان بن عبد العزيز، السعودية، ص 217.

¹²ينظر: الشيخ عبد الرحمن، عبد الحليم بوبات، اكتساب اللغة لدى الطفل بين تشومسكي وجان بياجيه (دراسة مقارنة) ، الجامعة الإفريقية، أدرار، الجزائر 2018/2019، ص 2

¹³الصالح صبيحي، 1977، مباحث في علوم القرآن، راجعه عبد الرحمان النجدي، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، ص 21.

¹⁴مديرية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج، 2014، الدليل التطبيقي لمناهج التربية التحفيزية (أطفال 5-6 سنوات) ، ص 87.

¹⁵ساقني عبد الجليل، محمد ساقني، 2018، مناهج وآليات التعليم بالمدارس القرآنية بالتدريكت، مجلة آفاق العلمية، المركز الجامعي، تامنغست، ع3، مج10، ص 218.

¹⁶ينظر: العمري أحمد بن عبد الله، 2004، وقفات لمعلم القرآن الكريم وآدابه وطرق تدريسه، تق: السيد الزعبلوي، محمد بن عمر سكر، ط1، وزارة التربية والتعليم، الرياض، ص 49، 50.

¹⁷السابق، ص 102.

¹⁸سورة الأعراف، الآية 204.

¹⁹إليغا داود عبد القادر ، حسن محمد علي البسومي، 2014، المحادثة في اللغة العربية، طرق تعليمها وأساليب معالجة مشكلاتها لدى الطلبة الأجانب، مجلة جامعة المدينة العالمية، ع10، مصر، ص 253.

²⁰ينظر: سميرة عبد الوهاب وآخرون، 2004، تعليم القراءة والكتابة في المرحلة الابتدائية، ط2، دار الدقهلية للطباعة والنشر، ص 87.

²¹الرومي فهد عبد الرحمن، محمد السيد الزعبلوي، 1996، طرق التجويد وأحكامه تعلمه وتعليمه، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ص 29.

²²الصغير محمد حسين علي ، 1420، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، ط1، ص، 84.

²³سورة فصلت، الآية 50.

²⁴ينظر: العيادي صورة، 2017، من آثار تعلم القرآن الكريم في تنمية الملكة اللغوية، مجلة الأحياء، ع 20، ص 285.

-
- ²⁵ابتسام محفوظ، 2017، المهارات اللغوية، دار التدمرية، ط1، المملكة العربية السعودية، ص20.
- ²⁶عبد الله بن محمد مسلمي، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللغوية، ص17.
- ²⁷السابق، ص106
- ²⁸صومان أحمد، 2004، أثر الالتحاق بمرحلة رياض الأطفال أو عدمه في تنمية مهارتي القراءة والكتابة لدى طالبات المرحلة الأساسية الدنيا، مدرسة أم حبيبة الأساسية مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) مجلد28، ع4، الأردن 2004، ص794.
- ²⁹استينية سميرة شريف، اللسانيات، المجال، الوظيفة، المنهج، ط2، عالم الكتب الحديث، عمان، 2008، ص434.